مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــــرام

التاريخ : ١٩٧٦/٥/١٨

البنـــاء الاجتماعى والممارســة الديمقراطية

يمر المجتمع المصرى فى المرحلة الراهنة بتجربة ديموقراطية بالغة الاهمية . فلاول مرة منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ توجد تيارات سياسية تتراوح فى اتجاهاتها من اليمين الى اليسار مرورا بالوسط . ومنطق هذا التصنيف — لو نظرنا للامر نظرة تاريخية مقارنة — هو ان كل تيـــار من هـــذه التيارات السياسية عادة ما يعكس منهجا فكريا محددا يتعلق بتحليل البنـــاء الاجتماعى ، مما يؤدى به الى تبنى حلول وسياسات قد تختلف فى قليل او كثير مع تلك التى تنادى بها التيارات الاخرى .

غير ان قبول فكرة الاختلاف السياسى من ناحية ، وانشاء تنظيمات سياسية ثلاثة مختلفة فى منطلقاتها الفكرية من ناحية اخـرى ، ليس فى الواقع سوى الخطوة الاولى نحو الممارسة الديموقراطية فنحن نستطيع ان ننشىء التنظيمـــات المختلفة ، ولكن هذه التنظيمات لن يملأ جنباتها بالحياة ســـوى الافراد الذين يتسمون بالوعى ، والذين يتملكون القدرة على اصدار القرار الخاص بتحديد هويتهم السياسية ، والذى يجعلهـــم مواطنين مشاركين قادرين على تحمـــل مسئولية المشاركة السياسية .

ومن هـــذا المنطلق ، ركز الرئيـــس الســـادات فى لقائه مع القيـــادات الصحفية على اهميـــة بنـــاء الفـــرد الديموقراطى . ومن هنا يصح التساؤل حول الشروط والمقومات التى ينبغى ان تتوفر ، حتى يمكن صيـــاغة هـــذا الفرد ، صاحب الارادة المستقلة ، الذى يستطيع — بالرغم مما قد يتعرض له من ضغوط اقتصادية او اجتماعية او ادارية — ان يعبر عن رأيه السياسى .

الفرد المصرى والاسرة

من الحقائق الثابتة فى العلم الاجتماعى ان نمط التنشئة الاجتماعية الذى يتلقاه الفـــرد فى محيط الاسرة عادة ما يؤثر تأثيرا بالغا على التكوين النفسى له ، مما يحدد — الى حد كبير — نمط اعماله وردود افعـــاله . ليس معنى ذلك ان الاسرة تستطيع ان تصب افرادها فى قوالب حديدية لا يستطيعون منها فكاكا لو ارادوا ، ولكن مما لاشك فيه ان تأثير الاسرة يبقى متجذرا فى التكوين النفسى لافرادها ، حتى لو استطاعوا تحييـــد بعض تأثيراته السلبية ، من خـــلال محاولاتهم تغيير طابع شخصياتهم .

ومن هنا تكتسب الاسرة اهمية خاصة . وعلى ذلك فلو سادت التسلطية كأسلوب لادارة شئون الاسرة ، فمعنى ذلك ان الارادات المستقلة لافرادها ستذوب أمام سلطان الاسرة ، وبالتالى يتعود الفرد الامتثال والخضوع ، ويفقـــد بالتالى القدرة على اصدار القرار . ونجـــد تعميمات جازمة من الاسرة المصرية تؤكد انها تتسم بالتسلطية . ونحن نعرف انه

فى الريف المصرى ساد لفترة طويلة نمط الاسرة التسلطية بحكم نمط الانتاج السائد

غير أنه مع تسليمنا بصحة هذه التعميمات عن الاسرة المصرية فى مرحلة ما من مراحل تطورها ، الا ان هناك شواهد ميدانية على التغير الحقيقى الذى حدث فيها ، والذى يتعلق ببنائها ووظائفها على السواء . فنتيجة لظروف اقتصادية شتى ، لم يعد نمط الاسرة الممتدة نمطا شائعا فى الريف المصرى ، وبالتالى حصل الابناء على سلطات أوسع فى ادارة شئونهم . كما ان تزايد موجات الهجرة الداخلية من الريف الى المدينة ، وكذلك الهجرة الى البلاد العربية قد دعم فى هذا الاتجاه ومن ناحية أخرى ، تغيرت الاسرة الحضرية المصرية نتيجة لتعليم البنات واشتغال المرأة وزيادة نصيبها من الاستقلال الاقتصادى ، بالاضافة الى تغير القيم الاسرية . **كل هذه التغيرات الاجتماعية ، ادت الى زيادة قدرة الفرد المصرى على حرية اتخاذ القرار فى مواجهة الضغوط الاسرية ، وهو تغير ايجابى لابد ان يصب فى النهاية ، فى معين الرصيد الايجابى لزيادة قدرته على اتخاذ القرار فى المجال السياسى .**

الفرد المصرى والنظام التعليمى

يجابه الفرد المصرى مبكرا للغاية النظام التعليمى . **ومن المتفق عليه ، ان فلسفة النظام التعليمى واتجاهاته فى مجتمع ما ، تحدد الى درجة كبيرة انماط شخصيات الافراد ، وتشكل وعيهم بشكل محدد . ولعل ابرز سمة سلبية للنظام التعليمى المصرى انه نظام يقوم على الذاكرة ولا يقوم على تنمية التفكير أو تأصيل اسلوب حل المشكلات .** ولذلك نجد ان الطلبة لا يرحبون كثيرا بالاسئلة التى تطرح مشكلات محددة ، ويطلب منهم ان يقدموا تصوراتهم الخاصة لحلولها . فالطالب المصرى يفزع اذا ما طلب منه ان يفكر تفكيرا مستقلا ، لانه لم يدرب تدريبا كافيا على ذلك ، ولكنه يرحب كثيرا بالاسئلة التى لا تحتاج الا الى سرد المعلومات كما هى ، وبغير نظرة نقدية مستقلة .

ولذلك فان تطوير صياغة شخصية الفرد يحتاج الى تطوير فى فلسفة التعليم فى بلادنا ، تقوم على تنمية التفكير ، وتربية الشخصية المستقلة ، والتشجيع على البحث واتخاذ القرار .

الفرد المصرى والنظام المهنى

حين ينتهى الطالب المصرى من دراسته لابد له ان يجابه مشكلة البحث عن مهنة. **ويمكن القول ان النظام المهنى فى مصر — نتيجة اسباب شتى لعل اهمها الظروف الاقتصادية — يتسم بالجمود وضيق الفرص .** فمن المعروف انه فى بناء اقتصادى ديناميكى يسود التخصص والتخصص الدقيق ، وتظهر عشرات المهن المتخصصة ، مما يفتح امام طالبى العمل آلاف الفرص المتنوعة ، لكى يختار كل فرد — وبناء على قراره الشخصى — المهنة التى سينتمى اليها . **ولكن فى بناء اقتصادى يعانى من المصاعب ، تسود نمطية فى المجال المهنى ، مما لا يترك الفرصة امام الافراد لكى يختاروا .** وقد ادى نظام توزيع خريجى الجامعات بواسطة القوى العاملة ، الى تضييق مجال الاختيار امام طالبى التوظف . مما يؤدى فى النهاية الى الشعور بأن النظام المهنى يتسم بالقهر ، طالما انه لا يتيح الفرصة امام كل فرد لكى ينتقى العمل الذى يميل اليه . **ولاشك ان هذه الممارسات جميعا تترك آثارا شتى على احساس الفرد بأنه يمتلك حقا تقرير مصيره .** وكل ذلك يدعو — اذا ما اردنا بناء الفرد الديمقراطى — الى اعادة النظر

فى سياسة العمالة ، بحيث يترك لكل فرد — مع الابقاء على معيار ضرورة تحقيق الصالح العام فى بعض الحالات

مثل تقرير نوع المهنة التى يرغب فى الانتماء اليها .

الفرد المصرى والجهاز البيروقراطى

فى ظل اقتصاد يهيمن فيه القطاع العام على غالبية قطاعاته المنتجة من ناحية ، ويتضخم فيه الجهاز الادارى للدولة من ناحية اخرى يصح التساؤل من تأثير البيروقراطية — اذا ما ركزنا على الجانب السيىء منها — على تكوين الفرد المصرى واتجاهاته . **ان طاقات الفرد وامكانيات ابداعه فى مجالات الانتاج والخدمات المختلفة ، يمكن ان تصطدم بكل التقاليد البيروقراطية البالية.** هذه التقاليد لا تشجع على الابتكار ، ولا تحترم المحاولات التى يبذلها الافراد لتجديد اساليب العمل وترقية وسائل الاداء ، وهى فى النهاية تركز على الامتثال والطاعة للرؤساء ، وتفرض أسلوبها المتخلف من خلال وسائل القمع الادارية وهى متعددة ومتنوعة .

وما لاشك فيه ان احتكاك الفرد العادى مع المنظمات البيروقراطية الكبرى، أصبح مشكلة عالمية ، غير اننا فى مصر — وبالذات فى الجهاز الحكومى — نجد انفسنا بازاء جهاز بيروقراطى عتيق، لايتسم بالمرونة اللازمة التى تسمح باتابة الافراد المبدعين الخلاقين والمجددين . **ومن هنا يمكن ان يؤدى احتكاك الافراد — فى حياتهم الوظيفية — بهذا الجهاز ، الى نوع من انواع الاغتراب الاجتماعى ، الذى يطفىء فيهم شعلة الحماس لتحقيق الصالح العام ، مما قد يؤثر فى اتجاهاتهم السياسية ،** التى قد تتسم بالسلبية واللامبالاة .

الفرد المصرى والممارسة الديمقراطية:

فى تقديرنا ان محصلة تفاعل الفرد مع الانظمة الاجتماعية التى اشرنا اليها من قبل تؤثر تاثيرا واضحا على قدرة الفرد على الممارسة الديموقراطية الحقة. واذا كنا راينا الفرد المصرى أخذ ينفلت بالتدريج من سطوة تسلطية الاسرة سواء فى الريف او فى الحضر ، فانه يبقى تحرير الفرد المصرى من الطابع التقليدى للنظام التعليمى الذى يحول الافراد الى قوالب جامدة ، **كما أن فى المجال المهنى** والمجال البيروقراطى ، لابد من ادخال تعديلات تسمح للفرد بان يحس باستقلاله وقدرته على اتخاذ القرار .

ومن ناحية اخرى ، لابد ان تدعم قيمة قبول الخلاف السياسى على مستوى المجتمع . فلم يعد الاجماع الشعبى الشكلى قرينة على اجماع المجتمع بصدد القضايا الرئيسية التى تهم المواطنين . ومن ناحية اخرى لابد من ارساء تقاليد الحوار الديموقراطى بين مختلف القوى الوطنية التى تتجادل سياسيا للوصول الى انسب الحلول للمشكلات الملحة التى يجابهها المجتمع المصرى فى مرحلة تطوره الراهنة .

غير انه يبقى اخيرا ، حقيقة اجتماعية بارزة ، وهى الارتفاع المخيف فى نسبة الامية فى بلادنا ، فبغير القضاء على هذه الظاهرة فى فترة قريبة ، لا يمكن الحديث عن الواقع من الفرد الديموقراطى الذى يتسم بالوعى بمشكلاته الشخصية ومشكلات مجتمعه .

السيد يسين